

سوريا

Syrie, par Simon Jargy. Editions Rencontre

(L'Atlas des Voyages,) Paris, 1963

المسقوفة الظلمية، والشعور القوي بالروابط العائلية، وهو الشباب واشعارهم، وطابع اللطف والمجاملة في الحياة السورية الخاصة.

وفي دمشق لا نرافق السيد جارجي في زيارته للاماكن الاثرية المروقة، كالجامع الاموي الكبير وقصر العظم، وحسب، وانما نזור معه الجامعة ايضا، والمقامي الادبية والسياسة المشهورة كالهافانا والبرازيل، بل اننا نזור ايضا معه كاتبين طالعين من كاتبات سوريا هما كوليت سهيل الحوري وغادة السنان. وتتخلل الوصف نواذر معبرة، واييات شعرية، ومقتطفات من الراحلين القدامى، بالاضافة الى ما يزين النص من رسوم قديمة للآثار، والتجارة، والابطال، والاولياء، والمرائس.

ومن دمشق نرافق السيد جارجي في الباص والقطار والسيارة الى حصص فحاة - «سينا الشرق الادنى» - ثم حلب، والى قلعة الحصن رائحة الهندسة الصليبية التي يمكن لفنائها ان يستوعب اي بناء اوربي من مباني القرون الوسطى، والى تدمر عاصمة زنوبيا التي تقوم اطلالها وسط الصحرَاء، والى سهول الجزيرة الحصينة، والى ربوع جبل الدروز الاشم. لكن عند كل لقنة في هذه الرحلة المفيدة تمت الحياة في الحديث من خلايا حادث شخصي ما : كأن يحضر السيد جارجي حفلة عرس في تدمر، او يتحدث الى اسقف ارمني في حلب، او يفرق في مناقشة مع ملاك في قطار طوروس السريع، او يتناول وجبة بسيطة في قرية على

يتحدث سيمون جارجي في هذا الكتاب، الرائع الاخراج والصور، عما يعرفه ويحبه. وقد عرفه قراء مجلة «اوريان» الفصلية الصادرة في باريس بمقالاته النفاذة عن التقلبات السياسية في سوريا. لكنه هنا يكشف وجها اكثر لطافة: فهذا الكتاب ليس تاريخا للنزاع السياسي او عرضا للتقاليد، وانما هو رحلة رومنتيقية، شبيهة ببعض الرحلات في القرن الثامن عشر، عبر المدن القديمة والارياض ذات الطابع الثابت. وقد حاول، كما يقول، ان يتغلغل تحت اضطرابات الحياة المعاصرة ويركز اهتمامه على ما هو ثابت لا يتغير في تاريخ سوريا وروح شعبها.

وبما ان السيد جارجي فرنسي من اصل سوري فان كتابه، بمعنى ما، رحلة رجوع وحجيج للاصوات والرائائح والمشاهد الاليفة له في ايام الطفولة. كما ان القارئ يرى وراء هذا العمل عقلا اوربيا متجردا، شديد التأنيق (حتى لتصدمه احيانا قسوة الحياة في الريف)، لكنه في الوقت ذاته عقل مليء بالحرارة الشرقية والادراك المرفه للتقاليد المحلية.

وقد بدت لي اهمية الكتاب اشد ما بدت في اعطائه معنى لجزيئات الحياة السورية وتفصيلها والاجواء الخاصة التي قد تفوت السائح عندما ينتقل بين فندقه والمدينة كل يوم: كالنشيط الجماعي في احياء دمشق القديمة، والسررات العائلية الطويلة، وحدائق المدينة البهيجة، وتشعبات الاسواق

بل وعن مآكلها التقليدية، وعن علمها، ونشيدها الوطني، وعن انواع النكت التي قد يرويها الدمشقي عن القوم السذج في حمص.

سيثني على السيد جارجي لكتابه هذا كل من عرف سوريا واحبها مثله، وكل من يجد مثله ان شعبها مضياف، وان البقلاوة فيها اشهى مآكل الدنيا.

باتريك سيل

الحدود الشمالية الشرقية من المنطقة القليلة الامطار. وينفتح القسم الثاني من الكتاب على اربعين صفحة مصورة رائعة تبين جمال المدن والريف وتباينها، واورقة المساجد الرطبية، وواحة القوطة الحصينة، او منظرا يفوق الوصف يبرز جمال الضباب في واد مالت عنه الشمس. ويلى هذا خمسون صفحة من المعلومات الدقيقة عن سوريا، عن جغرافيتها وسكانها، عن تاريخها وسياستها، عن تنوع الاديان فيها، عن اقتصادها، عن الزراعة والتجارة،

أرضنا الجديدة

بقلم خليل رامز سر كيس . منشورات الندوة اللبنانية، بيروت، ١٩٦٢

الكون اذاً، دون الانسان، ارض شبه موات. والانسان، دون معاناة الكون، غريب عن نفسه، بعيد عن موطن الله في الارض.

ولأن الانسان قمة الوجود فلا بد له من هجر الارض القديمة التي عشن فيها الحقد والكره والتفرقة، قصد التطلع الى ارض جديدة قوامها مشاركة الكون في وجوده الاصيل عن طريق العقل والقلب معا. وهي مشاركة في الديمومة لو كفت عن وعي ذاتها لاختل نظام الكون. واذ تحصل رؤية الارض الجديدة لا بد وان نشرك فيها الآخرين لما يتضمنه من حقيقة وجمال.

الارض الجديدة هي هذه الارض في مستوى المعرفة والمحبة. انها ارض الكلمة المتجسدة، الارض التي «لا يشارك فيها الا من يؤتى شموراً في مستوى العقل وعقلاً في مستوى الحب» والتي «سوف تعمرها شعوب لم يولد معظمها بعد». واپس لهذه الارض الجديدة حدود لانه ليس للمعرفة عند الانسان حدود. «ليس خير ما يسمو بالمعرفة الى ما وراء الكون هو ان سموها نتيجة حتم للايمان بما وراء الطبيعة؟»

هذا الكتاب حديث رؤية، فيه لقضايا المصير البشري معاناة مفكر اصيل. وعناصر المعاناة اثنتان : عنف لاهوتي عميق الجذور هو من الكيان البشري في الصميم، وضوء عقلي فيه من رصانة العلم اهم مقوماتها. يبدو ان عنصري المعاناة يلتقيان في لحظة غايتها الارض الجديدة في مستوى الصليب. اول ما في الكتاب ان الانسان محور الكون، الكون الواحد، على ما فيه تعدد العوالم. الانسان اذاً واجب وجوده لوعى الحقيقة الكونية والا اصبحت هذه الحقيقة دون قيمة وتمطلت الغاية من خلقها. وثانياً، ان الانسان وجود داخلي، اي وجود لاهوتي، «مخلوق على مثل الاله»، فيه من الاندفاع نحو المعرفة مثل ما في الكون من طاقات مخترنة. ويلتقي الانسان والكون عبر تجربة المعرفة فيكون العلم، وهذا ليس سوى محاولة من الانسان لتسلط على الطبيعة بعد ادراك نوااميسها. وعلى قدر ما يندفع الانسان في معاناة الكون يجب ان يقي فيه، قويا، ويتكثف كينوني، حقل (الاهوت)، والا اختل توازن القوى فتضيق رؤية الارض الجديدة.